الفجر

العدد الثالث – أيار ٢٠١٣ – جمادى الآخرة ١٤٣٤

حتى نعذر بعض السياسيين
عبد الرحمن جعفر

النقد في الصراع السياسي
أحمد دعدوش

الجماعة من المحلية إلى العالمية
من أوراق المؤتمر الأول للإخوان

خيمة المجد «قصيدة»
أنس الدغيم

الفجر

العدد الثالث – أيار ٢٠١٣ – جمادى الآخرة ١٤٣٤

مجلة شهرية تصدر عن
مكتب الشباب في جماعة الإخوان المسلمين
في سورية

المحتوى

3 **الافتتاحية**

4 **الجماعة من المحلية إلى العالمية**
من أوراق المؤتمر الأول للإخوان

6 **كيف السبيل لتحقيق الإخلاص**
جماز الجماز

8 **دين الإسلام**
علي الطنطاوي

12 **النقد في الصراع السياسي**
أحمد دعدوش

15 **حتى نعذر بعض السياسيين**
عبد الرحمن جعفر

18 **فتاوى** | إعطاء الأمان للمجرمين
رابطة العلماء السوريين

20 **الدكتور مصطفى السباعي**
أسامة السيد عمر

23 **تحيات بعد سنتين من التقدم والثبات**
علي المحيمد الحسيني

26 **خيمة المجد**
أنس إبراهيم الدغيم

27 **الهدية**
عماد السيد عمر

:: فريق التحرير

حسام الغضبان	رئيس التحرير
عمار يحيى الضايع	محرر
د. عامر الغضبان	محرر
أسامة السيد عمر	محرر
أسامة الشيدون	الطباعة والتوزيع
أنس حسين	الطباعة والتوزيع
منى السعيد	التسويق الإلكتروني

تصفح الفجر
www.alfajrmg.net

تواصل مع الفجر
alfajr.mg@gmail.com

تصميم وتنفيذ

المقالات المنشورة تعبر عن رأي كتابها
ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو هيئة تحريرها

ماذا نحتاج ؟

:: التحرير

من ينظر إلى إسهامات وإنجازات جماعة الإخوان المسلمين خلال تاريخهم يراهم تجربة رائدة، فقد أسست الجماعة لنهضة جديدة في ميدان العمل لنصرة الدين وإصلاح المجتمع .

وتجربة الجماعة تجربة ممتدة، مع طول عمرها ما زالت حاضرة في حركة المجتمعات، راعية لكثير من مشروعات الإصلاح الاجتماعي، قائمة بدور كبير في حفظ الأمة وحماية الأوطان .

لذلك نحسب أن هذه التجربة تجربة مباركة، أنجزت ما أنجزت بعون الله تعالى وتوفيقه، فله الحمد والشكر أولاً وآخراً، ونسأله تعالى أن يديم علينا نعمه، وأن يحفظنا من المعاصي والزلل والفتن .

ومع كل ذلك، تبقى تجربة جماعة الإخوان تجربة بشرية، ولهذا سميناها «تجربة»، ففي تاريخها أخطاء وضعف وفشل، كما هو حال كل عمل بشري .

لكن أكثر ما يسرنا حين ننظر في تاريخ الإخوان هو دورهم في المجال الدعوي، وإسهامهم في هداية الأفراد وتوجيه التجمعات والمجتمعات إلى وجهة طاعة الله تعالى والسعي لمرضاته، وذلك من أعظم الأعمال وأفضل الفضل، «فلأن يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم» .

والمجال الدعوي -مع معرفتنا بأهميته ومحوريته- ليس المجال الوحيد الذي شاركت فيه جماعة الإخوان حيث شاركت، فإن لها مشاركات غطت كل مجالات العمل والحراك في البلدان والمجتمعات التي قامت فيها، وتكاد مشاركاتها تقدم نموذجاً وتجربة في كل ميدان للنشاط والتطور الاجتماعي .

ولعل من أكثر المواقف التي مثلت تحدياً للجماعة عبر مسيرتها تلك المواقف التي يلاحظ فيها التعارض بين متطلبات المجال الدعوي والمجال السياسي، وربما يكون هذا التحدي موجوداً منذ قيام الجماعة، حين أعلنت عن تبنيها لمنحى الإسلام الشمولي في الفكر النظري، ولهدف الدعوة والإصلاح الاجتماعي في الاستراتيجيات والخطط الميدانية والعملية .

وكان للإخوان توجهات متعددة وتجارب مختلفة في اجتهاداتهم لمقابلة هذا التحدي، وظهر أن استجابة الاجتهادات الفكرية والخطط العملية لمتطلبات الأصالة والمعاصرة وتغيرات الواقع كانت متفاوتة بين تجربة وأخرى، لكن دراسة هذه التجارب أصبحت متطلباً ضرورياً لكل جهود الاستشراف المستقبلي والتخطيط للمراحل القادمة .

وفي المرحلة الحالية المفصلية من تاريخنا، مرحلة الثورة، نعيش عصراً جديداً نحتاج فيه للاهتداء بتجارب الماضي بقدر ما نحتاج للإبداع للعمل المستقبلي، وإذا كانت التجارب الماضية قد علمتنا أهمية مفردات مثل التخصص، والتنسيق، والتخطيط، والمرونة، فإننا في المراحل الآتي نحتاج لتخصص أدق، وتنسيق أوثق، وتخطيط أكثر إحكاماً، ومرونة أكثر استيعاباً، نحتاج لكل ذلك مع ملاحظتنا لمتطلبات التزام الأفراد بدعوتهم، وانتماء الدعوة لأصولها وحفاظها على ثوابتها .

ما مقدار استعدادنا لتحقيق هذه القفزة ؟؟

إننا نحتاج لفكر المفكرين وأفكار المبدعين، ونحتاج لعمل العاملين وصبر الثابتين، ونحتاج لنصح الناصحين ومراجعات الناقدين المنصفين.

الجماعة من المحلية إلى العالمية

:: ورقة قدمتها دائرة عمل الجماعة إلى المؤتمر الأول للإخوان المسلمين في سورية، ١٦ تموز ٢٠١٢

ليس من السهل الكتابة عن جماعة بحجم الإخوان المسلمين في سورية بمراحلها المختلفة والأحداث التي مرت بها في صفحات محدودة، لكننا سنحاول التركيز لنعطي إشارات وإضاءات عن ملامح رئيسية في مسيرتها لسبعة عقود خلت. وسيشمل بحثنا هذا توضيح التطورات التي مرت بها الجماعة، والمنعطفات التي واجهتها، والأحداث الكبيرة التي مرت بها، وتأثير ذلك كله على بنيتها التنظيمية وأشكال ممارستها لأنشطتها المتنوعة، وعلى خططها وسياساتها على كافة الصعد. وسنعرّج بعد ذلك على توقعاتنا المستقبلية للتنظيم والأدوار المطلوبة منه ليكافئ الأوضاع التي أوجدتها ثورة الشعب السوري المجيدة ضد العصابة الأسدية.

وتسهيلا للبحث، سنحاول تقسيم تاريخ الجماعة إلى مراحل تشكل كل منها فترة لها ظروفها وطبيعتها الخاصة، ولكل منها صفاتها ومزاياها، وهي مراحل مرتبطة بظروف سياسية أو تنظيمية أضفت على كل منها ظلالها وتأثيراتها، وهي:

١. منذ التأسيس حتى الوحدة مع مصر عام ١٩٥٨:

- عمل مفتوح بترخيص رسمي
- مقارعة الاستعمار
- الجهاد في فلسطين
- مشاركة سياسية: برلمان ووزارات
- عمل دعوي عام
- تأثر بالصدام بين إخوان مصر وعبد الناصر.

٢. فترة الوحدة ١٩٥٨-١٩٦١:

- إعلان المراقب العام د. مصطفى السباعي حل الجماعة
- عدم رضا بعض التجمعات الإخوانية واستمرارها باللقاءات سرا
- تحوّل بعض شخصيات الجماعة إلى التيار الناصري، وإلى جماعات إسلامية أخرى.

٣. فترة الانفصال ١٩٦١-١٩٦٣:

- استعادة التنظيم دون ترخيص رسمي
- مشاركة سياسية: برلمان ووزارات
- عمل دعوي مفتوح

٤. فترة حكم البعث ١٩٦٣-١٩٧٠:

- العودة للعمل السري
- مغادرة المراقب العام الأستاذ عصام العطار سوريا مما أثر على الصف
- أحداث محدودة في مساجد بحماة ودمشق وحمص، واحتجاجات للعلماء
- بوادر الانشقاق في صفوف الجماعة

٥. الفترة الأولى من حكم حافظ أسد ١٩٧٠-١٩٧٩:

- انشقاق الجماعة
- أحداث الدستور
- غض النظر عن أنشطة الجماعة رغم الاعتقال المتكرر لقيادات منها
- توسع العمل المسجدي
- تولي الأستاذ عدنان سعد الدين منصب المراقب العام لأحد طرفي الجماعة، والدكتور حسن هويدي مراقبا عاما للطرف الآخر
- وضع أول خطة عامة للجماعة
- ظهور الطليعة المقاتلة وبدء عمليات الاغتيال
- الحرب الأهلية في لبنان

٦. الفترة الثانية من حكم حافظ أسد ١٩٨٠-٢٠٠٠:

- تفجر الصراع بين الجماعة والنظام وهروب أعداد كبيرة من سوريا
- توحيد طرفي الجماعة بمشاركة الطليعة المقاتلة بقيادة د. حسن هويدي
- أحداث حماة
- التحالف الوطني
- النفير وتوابعه
- تحوّل الجماعة للمؤسسية (المكاتب والأجهزة والمناطق)
- الانشقاق الثاني
- إحباط ونفور الشباب وهجرتهم للخليج والغرب
- غزو العراق للكويت
- وحدة الجماعة من جديد وتولي الأستاذ علي البيانوني منصب المراقب العام.

٧. الفترة الأولى من حكم بشار الأسد ٢٠٠٠-٢٠١١:

- انتقال المراقب العام للندن
- غزو واحتلال العراق
- وضع خطة عامة للجماعة هدفها الرئيسي العودة إلى الداخل
- تحرك سياسي واسع للجماعة: ميثاق الشرف، المشروع السياسي، جبهة الخلاص، تعليق الأنشطة بسبب الحرب على غزة
- انتخاب المهندس رياض الشقفة مراقبا عاما

٨. فترة انطلاق الثورة السورية ٢٠١١ حتى الآن [تموز ٢٠١٢]:

- دعم ونصرة الثورة وارتباك في تحديد طرق ووسائل ذلك
- مؤتمرات المعارضة وتشكيل المجلس الوطني
- إعادة هيكلة القيادة
- عقد أول مؤتمر عام للجماعة

إشارات ودلالات :

* كان التنظيم في سورية في بداياته شعبةً من شعب المركز العام في مصر، وبعد الصدام مع عبد الناصر استقل التنظيم بشكل أوضح عن المركز العام، خصوصا بعد تشكيل المكتب التنفيذي للبلاد العربية، الذي ترأسه الأستاذ عصام العطار عندما تولى قيادة الجماعة في سورية.

* كانت فترات العمل العلني تركز على الدعوة العامة والعمل السياسي، لكن الإعداد التربوي ووضع مناهج له بدأت مع العمل السري فترة الستينيات من القرن الماضي، وكانت تعتمد بشكل رئيسي على كتب إخوان مصر، خصوصا رسائل الإمام البنا. ثم اعتمدت كتب الشهيد سيد قطب وشقيقه محمد. وفي السبعينيات وضع منهج جديد اعتمدت فيه كتابات الشيخ سعيد حوى. وفي الثمانينيات اعتمدت بعض كتب الشيخ منير الغضبان.

* تعتبر فترة العمل السري في الجماعة هي الفترة الأطول، وقد انعكس ذلك على الواقع الداخلي للجماعة وعلى صلاتها وعلاقاتها وعلى نظرة الآخرين إليها. وإن كانت الشخصيات الأولى للجماعة تُعرف على المستوى العام منذ الثمانينيات إلا أن صفة السرية بقيت قائمة، لكن بدأ يتسع نطاق العمل العلني في الجماعة منذ اندلاع الثورة.

كيف السبيل إلى تحقيق الإخلاص؟

:: جمّاز الجمّاز
www.almoslim.net

كيف لي أن أخلص النية لله، علماً بأنني أجاهد النفس الأمارة بالسوء على الطاعة؟ وأن أكون حذراً لتجنب الرياء والسمعة؟ وما الأمور التي أتمكن بها من الشعور بطعم السعادة في طاعتي لله؟

ورد هذا السؤال إلى موقع المسلم www.almoslim.net ، فأجاب عنه الشيخ جمّاز الجمّاز بما يأتي:

الحمد لله رب العالمين، وبعد: السبيل إلى أن تكون مخلصاً لله عز وجل يكون بعدة أمور، منها:

١ **محاسبة نفسك** ، فتنظر في باعث العمل قبل إتيانه، وقد قيل لنافع بن جبير: ألا تشهد الجنازة؟ قال: كما أنت حتى أنوي، قال: ففكّر هنيّة ثم قال: امضِ.

٢ **تربية نفسك** ، فيكون بينك وبين ربك أسرار، من صلاة وصيام وصدقة وإحسان وذكر وعلم ونحو ذلك، وكلما كثرت أعمالك الصالحة كان أدعى للإخلاص. وبعد وفاة الفضيل بن عياض، رؤي في المنام، فقيل له: ماذا فعل الله بك؟ قال: غفر لي ذنبي، قالوا: بِمَ؟ قال: والله لم تنفعنا إلا ركيعات كنا نركعها في جوف الليل أخلصنا فيها لله عز وجل.

٣ **أن تعلم أن ما يستحقه الله تبارك وتعالى من العبودية لا يُقدَّر بشيء** ، وأنك عاجز عن أن توفّيها حقها، وأن ما تناله من ثواب وأجر من الله عز وجل، تفضّلٌ منه وإحسان، فليس معاوضة.

٤ **أن تعلم أنّ كل خير فيك هو فضل الله وإحسانه ومنّته عليك**، وأنك بالله لا بنفسك.

٥ **مطالعة عيوبك وآفاتك وتقصيرك في طاعة الله تبارك وتعالى**، وما يقوي أقوالك وأعمالك من حظ نفسك ونصيب الشيطان، وقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم فيما صحّ عنه عن التفاف الرجل في صلاته؟ فقال: «هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» [البخاري]، فإذا كان هذا التفات طرف الرجل، فكيف التفات قلبه إلى ما سوى الله جل وعلا؟!

٦ **اعلم قيمة الدنيا، وأنها فانية زائلة ليست باقية**، صحّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» [مسلم]، فإذا أردت أن تكون في سجن الدنيا وجنة الآخرة، فاسجن نفسك عن الرياء وحب السمعة والشهرة.

٧ **تفكّر في عواقب الرياء الدنيوية**، فإذا راءيت تطلب الدنيا، فاعلم أن الدنيا سوف تهرب منك ولو بعد حين، ولن ترجع بغير خفي حنين، وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «من كانت الدنيا همّه، فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له...» [ابن ماجه].

٨ **تفكّر في عواقب الرياء الأخروية**، وأنك مُتوعَّد بالإثم والعقاب، وأن المرائين أول من تسعر بهم النار يوم القيامة، صحّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من عبد يقوم في الدنيا مقام سمعة ورياء إلا سمّع الله به على رؤوس الخلائق يوم القيامة» [الطبراني]، ففي يوم القيامة يهتك الله ستر المرائين ويفضحهم جزاء كذبهم، فكن على حذر.

٩ تعرّف على القبر وأحواله، واليوم الآخر وأهواله، وتذكّر الموت وسكراته، فإنه رادع لك بإذن الله.

١٠ خوّف نفسك من الرياء، إذ الذي يظل حذراً يخشى الشيء فإنه ينجو، أما من يأمن ذلك فإنه يقع فيه، والإنسان قد يُؤتى من جهله وقلة حذره، فافهم ذلك جيداً.

١١ صاحب من تراه مخلصاً، فالمخلص لا يعدمك من إخلاصه شيء، بل سيكون له تأثير كبير محمود بإذن الله تبارك وتعالى.

١٢ احرص على إخفاء العبادة وإسرارها، فهو أحرى ألا يخالطها الرياء، وفيها تربية لنفسك على التواضع والخمول المحمود.

١٣ استشعر عظمة الله تعالى، فهو الذي ينفع ويضر وحده، فوجب إفراده بالعبادة. تعرّف على أسمائه وصفاته جل وعلا، واعلم أنه سميع بصير، يراك ويسمعك، يعلم ما تخفي وما تعلن. راقب الله تعالى في كل شيء، ولا تراقب الناس، فإن الله جل وعلا مطلع عليك، ألا يكفيك اطلاعه عليك؟!

١٤ شوّق نفسك بالفضائل الموعود بها من أخلص، مثل: توفيق الله تعالى وتسديده له، والحلاوة والمحبة والمهابة في قلوب الناس له، وحب أهل السماء له، ووضع القبول له في الأرض، والإنقاذ من الضلال في الدنيا، وتفريج كروب الدنيا، ونصر الأمة، وحسن الخاتمة، واستجابة الدعاء، والنجاة من عذاب الآخرة، ورفعة الدرجات؛ وتعاهد نفسك بين كل حين وآخر بالقراءة عن هذه الفضائل

١٥ استعن بالله تعالى وادعه ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، أن يوفقك الله تعالى لأن تكون مخلصاً له في كل شيء، وأن يجنّبك الرياء. صحّ عنه صلى الله عليه وسلم أنه دعا، فقال: «اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه» [أحمد]، ودعا عمر رضي الله عنه بقوله: «اللهم اجعل عملي كله صالحاً، واجعله لوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه شيئاً» [فتاوى ابن تيمية].

أسأل الله تبارك وتعالى لك التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

حرصنا على «العناوين» أكثر من «المضامين»، يشبه أن تسمي أولادك بأسماء الصحابة على أمل أن يقتدوا بهم، ثم ترميهم ليتربوا في الشوارع...

د. أحمد خيري العمري
www.facebook.com/Ahmedkalomari

دين الإسلام

علي الطنطاوي

[من كتابه: تعريف عام بدين الإسلام]

قلت مرة لتلاميذي: لو جاءكم رجل أجنبي فقال لكم: إن لديه ساعة من الزمن، يريد أن يفهم فيها ما الإسلام، فكيف تفهمونه الإسلام في ساعة؟ قالوا: هذا مستحيل، ولا بد له أن يدرس التوحيد والتجويد، والتفسير والحديث والفقه والأصول، ويدخل في مشكلات ومسائل، لا يخرج منها في خمس سنين. قلت: سبحان الله، أما كان الأعرابي يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلبث عنده يوماً أو بعض يوم، فيعرف الإسلام ويحمله إلى قومه، فيكون لهم مرشداً ومعلماً، ويكون للإسلام داعياً ومبلغاً؟

وأبلغ من هذا، أما شرح الرسولُ الدينَ كلّه في حديث «سؤال جبريل» بثلاث جمل، تكلم فيها عن: الإيمان، والإسلام، والإحسان؟ فلماذا لا نشرحه اليوم في ساعة ؟

فما الإسلام؟ وكيف يكون الدخول فيه؟

كل نِحلة من النحل الصحيحة والباطلة، وكل جمعية من الجمعيات النافعة والضارة، وكل حزب من الأحزاب الخيّرة والشريرة، لكل ذلك «مبادئ» وأسس فكرية، ومسائل عقائدية، تحدد غايته وتوجه سيره، وتكون كالدستور لأعضائه وأتباعه.

ومن أراد أن ينتسب إلى واحد منها، نظر أولاً إلى هذه «المبادئ»، فإن ارتضاها واعتقد صحتها، وقبل بها بفكره الواعي وبعقله الباطن، ولم يبق عنده شك فيها، طلب «الانتساب» إلى الجمعية، فانتظم في سلك أعضائها ومتبعيها، ووجب عليه أن يقوم بالأعمال التي يلزمه بها دستورها، ويدفع رسم الاشتراك الذي يحدده نظامها، وكان عليه -بعد ذلك- أن يدل بسلوكه على إخلاصه لمبادئها، فيتذكر هذه المبادئ دائماً، فلا يأتي من الأعمال ما يخالفها، بل يكون بأخلاقه وسلوكه مثالاً حسناً عليها، وداعيةً فعلياً لها.

فالعضوية في الجمعية هي: «عِلْم» بنظامها، و«اعتقاد» بمبادئها، و«إطاعة» لأحكامها، و«سلوك» في الحياة موافق لها. هذا وضع عام ينطبق على الإسلام.

فمن أراد أن يدخل في دين الإسلام عليه أولاً أن يقبل أسسه العقلية، وأن يصدق بها تصديقاً جازماً، حتى تكون له «عقيدة».

وهذه الأسس تتلخص في أن يعتقد أن هذا العالم المادي ليس كل شيء، وأن هذه الحياة الدنيا ليست هي الحياة كلها. فالإنسان كان موجوداً قبل أن يولد، وسيظل موجوداً بعد أن يموت، وأنه لم يُوجِد نفسَه، بل وجد قبل أن يعرف نفسه، ولم توجده هذه الجمادات من حوله، لأنه عاقل ولا

عقل لها، بل أوجده وأوجد هذه العوالم كلها من العدم إله واحد، هو وحده الذي يحيي ويميت، وهو الذي خلق كل شيء، وإن شاء أفناه وذهب به.

وهذا الإله لا يشبه شيئاً مما في العوالم، قديم لا أول له، باق لا آخر له، قادر لا حدود لقدرته، عالم لا يخفى شيء عن علمه، عادل ولكن لا تقاس عدالته المطلقة بمقاييس العدالة البشرية، هو الذي وضع نواميس الكون التي نسميها «قوانين الطبيعة»، وجعل كل شيء فيها بمقدار، وحدّد من الأزل جزئياته وأنواعه، وما يطرأ عليه (على الأحياء وعلى الجمادات) من حركة وسكون، وثبات وتحوّل، وفعل وترك؛ ومنح الإنسان عقلاً يحكم به على كثير من الأمور التي جعلها خاضعة لتصرفه، وأعطاه عقلاً يختار به ما يريد، وإرادةً يحقق بها ما يختار، وجعل بعد هذه الحياة المؤقتة حياة دائمة في الآخرة، فيها يُكافَأ المحسن في الجنة، ويُعاقَب المسيء في جهنم.

وهذا الإله واحد أحد، لا شريك له يعبد معه، ولا وسيط يقرّب إليه ويشفع عنده بلا إذنه، فالعبادة له وحده خالصة، بكل مظاهرها.

له مخلوقات مادية ظاهرة لنا تُدرَك بالحواس، ومخلوقات مغيَّبة عنا، بعضها جماد وبعضها حيّ مكلّف، ومن الأحياء ما هو خالص للخير المحض (وهم الملائكة)، ومنها ما هو مخصوص بالشر المحض (وهم الشياطين [والشياطين من الجن])، وما هو مختلط، منه الخيِّر والشرير، والصالح والطالح (وهم الإنسُ والجن).

وأنه يختار ناساً من البشر، ينزل عليهم المَلَك بالشرع الإلهي ليبلّغوه البشر، وهؤلاء هم الرسل.

وأن هذه الشرائع تتضمنها كتب وصحائف أُنزلت من السماء، ينسخ المتأخر منها ما تقدّمه أو يعدّله. وأن آخر هذه الكتب هو القرآن، وقد حُرِّفت الكتب والصحف قبله، أو ضاعت ونُسيت، وبقي هو سالماً من التحريف والضياع.

وأن آخر هؤلاء الرسل والأنبياء هو محمد بن عبد الله العربي القرشي، خُتمت به الرسالات، وبدينه الأديان، فلا نبي بعده.

فالقرآن هو دستور الإسلام، فمن صدّق بأنه من عند الله، وآمن به جملةً وتفصيلاً سمي «مؤمناً». والإيمان بهذا المعنى، لا يطّلع عليه إلاّ الله، لأن البشر لا يشقون قلوب الناس، ولا يعلمون ما فيها، لذلك وجب عليه ليعدّه المسلمون واحداً منهم، أن يعلن هذا الإيمان بالنطق بلسانه بالشهادتين، وهما: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

فإذا نطق بهما صار مسلماً، أي: «مواطناً» أصيلاً في دولة الإسلام، وتمتّع بجميع الحقوق التي يتمتع بها المسلم، وقَبِل بالقيام بجميع الأعمال التي يكلّفه بها الإسلام.

وهذه الأعمال (أي العبادات) قليلة، سهلة، ليس فيها مشقة بليغة، وليس فيها حرج.

أولها: أن يركع في الصباح ركعتين يناجي فيهما ربه، يسأله من خيره، ويعوذ به من عقابه، وأن يتوضأ قبلهما أي يغسل أطرافه، أو يغسل جسده كله (إن كانت به جنابة).

وأن يركع في وسطه أربعاً، ثم أربعاً، وأن يركع بعد غياب الشمس ثلاثاً، وفي الليل أربعاً.

هـذه هـي الصلـوات المفروضـة، لا يسـتغرق أداؤهـا كلهـا نصـف سـاعة في اليـوم، لا يُشـترط لهـا مـكان لا تـؤدَّى إلا فيـه، ولا شـخص معـين (أي رجـل ديـن) لا تصـح إلا معـه، ولا واسـطة فيهـا (ولا في العبـادات كلهـا) بـين المسـلم وربـه.

الثـاني: أنَّ في السـنة شـهراً معينـاً، يقـدم فيـه المسـلم فطـوره، فيجعلـه في آخـر الليـل بـدلاً مـن أن يكـون في أول النهـار، ويؤخـر غـداءه إلى مـا بعـد غـروب الشـمس، ويمتنـع في النهـار عـن الطعـام والـشراب ومعـاشرة النسـاء، فيكـون مـن ذلـك شـهر صفـاء لنفسـه، وراحـة لمعدتـه، وتهذيـب لخُلُقـه، وصحـة لجسـده، ويكـون هـذا الشـهر مظهـراً مـن مظاهـر الاجتـماع عـلى الخـير، والتسـاوي في العيـش.

الثالـث: أنـه إذا فضـل عـن نفقـات نفسـه ونفقـات عيالـه مقـدار مـن المـال محـدود، بقـي سـنة كاملـة لا يحتـاج إليـه، لأنـه في غنـى عنـه، كُلّـف أن يُخـرج منـه بعـد انقضـاء السـنة، مبلـغ ٢,٥٪ للفقـراء والمحتاجـين، لا يحـس هـو بثقلهـا، ويكـون فيهـا عـون بالـغ للمحتـاج، وركـن وطيـد للتضامـن الاجتماعـي، وشـفاء مـن داء الفقـر، الـذي هـو شر الأدواء.

الرابـع: أن الإِسـلام رتـب للمجتمـع الإِسـلامي، اجتماعـات دوريـة:

اجتـماع بمثابـة مجالـس الحـارات، يُعقـد خمـس مـرات في اليـوم، مثـل حصـص المدرسـة، هـو «صـلاة الجماعـة»، يوثّـق كل عضـو فيـه عبوديتـه لله بالقيـام بـين يديـه، ويكـون مـن ثـماره أن يعـين الأقويـاء الضعيـف، ويعلّـم العلـماء الجاهـل، ويسـعف الأغنيـاء الفقـير، ومـدة انعقـاده ربـع سـاعة. فـلا يعطـل عامـلاً عـن عملـه، ولا تاجـراً عـن تجارتـه، وإذا تـم الاجتـماع وتخلـف عنـه مسـلم فصـلّى في بيتـه، لم يُعاقَـب عـلى تخلفـه ولكـن فاتـه ثـواب حضـوره.

واجتـماع لمجالـس الأحيـاء، يُعقـد مـرة في الأسـبوع، هـو «صـلاة الجمعـة»، ومـدة انعقـاده أقـل مـن سـاعة. وحضـوره واجـب عـلى الرجـال.

واجتـماع كمجالـس المدينـة، يعقـد مرتـين في السـنة، وهـو «صـلاة العيـد»، وحضـوره ليـس عـلى سـبيل الإِلـزام، ومـدى انعقـاده أقـل مـن سـاعة.

واجتـماع، هـو كالمؤتمـر الشـعبي العـام، يُعقـد كل سـنة في مـكان معـين، هـو في الحقيقـة دورة توجيهيـة ورياضيـة وفكريـة، يكلَّـف المسـلم بـأن يحـضره مـرة واحـدة في العمـر، إذا قـدر عـلى حضـوره، وهـو «الحـج».

هذه هي «العبادات» الأصلية التي يُكلَّف بها.

ومـن العبـادات أن يمتنـع عـن أفعـال معينـة، أفعـال يُجمـع عقـلاء الدنيـا عـلى أنهـا شر، وأن الواجـب الامتنـاع عنهـا، كالقتـل بـلا حـقٍ، والتعـدّي عـلى النـاس، والظلـم بأنواعـه، والمسـكر الـذي يغيّـب العقـل، والزنـا الـذي يذهـب الأعـراض ويخلـط الأنسـاب، والربـا، والكـذب، والغـش، والغـدر، والفـرار مـن الخدمـة العسـكرية التـي يـراد منهـا إعـلاء كلمـة الله، ومنهـا «بـل مـن أشـدها» عقـوق الوالديـن، والحلـف كاذبـاً، وشـهادة الـزور، وأمثـال ذلـك مـن الأعـمال القبيحـة الشريـرة، التـي تجتمـع العقـول عـلى إدراك قبحهـا وشرهـا.

وإذا قـصر المسـلم في القيـام ببعـض الواجبـات، أو ارتكـب بعـض الممنوعـات، ثـم رجـع وتـاب وطلـب العفـو مـن الله، فـإن الله يعفـو عنـه، وإن لم يتـب فإنـه يبقـى مسـلماً معـدوداً في المسـلمين، ولكنـه يكـون «عاصيـاً» يسـتحق العقـاب في الآخـرة، ولكـن عقابـه مؤقـت، لا يـدوم دوام عقـاب الكافـر.

أمـا إذا أنكـر بعـض المبـادئ، أي العقائـد الأصليـة، أو شـكّ

فيها، أو جحد واجباً مجمعاً على وجوبه، أو حراماً مجمعاً على حرمته، أو أنكر ولو كلمة واحدة من القرآن، فإنه يخرج من الدين، ويعتبر مرتداً تُنزع عنه الجنسية الإسلامية. والردة أكبر جريمة في الإسلام، فهي كالخيانة العظمى في القوانين الحديثة، جزاؤها -إن لم يرجع عنها ويتنصّل منها- الموت.

قد يترك المسلم بعض الواجبات، أو يأتي بعض الممنوعات، وهو معترف بالوجوب والحرمة، فيبقى مسلماً، ولكنه يكون «عاصياً»، أما الإيمان فلا يتجزأ، فلو آمن مثلاً بتسع وتسعين عقيدة، وكفر بواحدة فقط، كان كافراً.

وقد يكون المسلم غير مؤمن، كمن انتسب إلى حزب أو جمعية، وحضر اجتماعاتها، ودفع اشتراكاتها، وقام بواجب العضو فيها، ولكنه لم يقبل بمبادئها، ولم يقتنع بصحتها، بل دخل فيها للتجسس عليها، أو فساد أمرها.

وهذا هو «المنافق» الذي ينطق بالشهادتين، ويؤدي العبادات ظاهراً، ولكنه غير مؤمن بالحقيقة ولا ناجٍ عند الله، وإن كان عند الناس معتبراً من المسلمين، لأن الناس لهم الظواهر، والله وحده يطّلع على السرائر والقلوب.

فإذا آمن الإنسان بالأسس الفكرية للإسلام، وهي: التصديق المطلق بالله، وتنزيهه عن الشريك والوسيط، وبالملائكة، وبالرسل، وبالكتب، وبالحياة الآخرة، وبالقدر، ونطق الشهادتين، وصلى الفرائض، وصَام رمضان، وأدى زكاة ماله إن وجبت عليه الزكاة، وحج مرة في العمر إن استطاع، وامتنع عن المحرمات المجمع على حرمتها؛ فهو مسلم مؤمن، ولكن ثمرة الإيمان لا تظهر منه، ولا يُحِسّ بحلاوته، ولا يكون مسلماً كاملاً، حتى يسلك في حياته مسلك المسلم المؤمن.

ولقد لخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهاج هذا السلوك بجملة واحدة، كلمةٍ من جوامع الكلم، ومن أبلغ ما نطق به بشر، كلمةٍ تجمع الخير كله، خير الدنيا، وما في عَقِبه من خير الآخرة.

هي: أن يتذكر المسلم في قيامه وقعوده، وخلوته وجلوته، وجدّه وهزله، وفي حالاتها كلها، أن الله مطلع عليه، وناظر إليه، فلا يعصيه وهو يذكر أنه يراه، ولا يخاف أو ييأس وهو يعلم أنه معه، ولا يشعر بالوحشة وهو يناجيه، لا يحس بالحاجة إلى أحد وهو يطلب منه ويدعوه، فإن عصى -ومن طبيعته أن يعصي- رجع وتاب، فتاب الله عليه.

كل ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم، في تعريف «الإحسان»: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

هذا هو دين الإسلام بالقول المجمل.

التعزيز والتحفيز، وتسليط الضوء على الفعل الوطني والمبادرات العملية الإيجابية في بعض الكتائب والمدن كفيل في كثير من الأحيان بإشاعة الجَمال والصواب في بقية المدن والكتائب.

برأيي، التحفيز أجدى من النقد، بالأخص الحاد منه، داريا، كفرنبل، سراقب، وأبو فرات أمثلة على هذا الجمال الذي يمتد ويشيع بفعل التشجيع.

أحمد أبو الخير
www.facebook.com/ahmadtalk

النقد في الصراع السياسي

:: أحمد دعدوش

لماذا لا نتحمل النقد؟

يلخص لنا القرآن الكريم قصة وجودنا على هذه الأرض بصراع أولي بين الإنسان والشيطان، انتهى إلى صراع مع النفس ذاتها. فبعد أن أخطأ كلاهما، راجع آدم نفسه واستغفر ربه فتاب عليه، أما الشيطان فتحدى ربه، وقال «بما أغويتني» فعاقبه.

وما زال هذا الصراع الوجودي قائما حتى اليوم، وما زال الشيطان يبذل جهده لإغواء بني آدم بكل الشهوات، كما لا يزال باب التوبة إلى الله مفتوحا لكل من يراجع نفسه مهما كان خطؤه فاحشا، ولن يُحرم إلا صنف واحد من الناس وصفه القرآن بقوله «وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد» [البقرة: ٢٠٦].

وإذا كان التكبر والتشبث بالرأي قد أودى بإبليس إلى هذا الغي، وأضل به حشودا من بني آدم ليقودهم إبليس إلى النار، فلا يخفى على عاقل ما ينتج عن هذا السلوك من أمراض نفسية اجتماعية تمس تفاصيل حياتنا كل يوم.

لقد تخطى الغرب الكثير من تبعات هذا التعصب، فبعد الضربات القاسية التي قام بها رواد الثورة الفرنسية وما بعدها ضد الكثير من المقدسات الدينية والسياسية والاجتماعية، استقر الأمر بعد قرون من الشد والجذب على التقبل النفسي للنقد وللآلية الديمقراطية واحترام الآخر مهما كان مختلفا.

ومن الملفت أن نرى اليمين المتطرف، وحتى النازية الجديدة والحركات الفاشية، ما زالت موجودة في الساحة السياسية بمعظم الدول الغربية، بل نجدها تمارس اللعبة الديمقراطية لتصل إلى السلطة والإعلام بالرغم من قيامها أساسا على عقلية شمولية متعصبة.

وربما تمثل الإدارة الجمهورية اليمينية في عهد بوش الابن مثالا صارخا لهذا التوجه، فالرئيس الذي نشأ في بيئة ريفية بولاية تكساس ولم يكن ليطمح إلى السياسة لولا تراث عائلته، والذي كان عقله مشبعا بالتعصب الديني والعسكري، كان -في رأيي- من أقدر الرؤساء على امتصاص النقد ببراعة، حتى قيل إنه أكثر رؤساء الولايات المتحدة تعرضا للنقد والسخرية في وسائل الإعلام والسينما، غير أنه مع ذلك لم يكترث لنقاده وانشغل بتنفيذ مشروعه الإمبريالي، وربما الصليبي على حد تعبيره.

صدمة حضارية

في المقابل، ما زال العرب يعيشون حتى الآن صدمة حضارية لم يستيقظوا منها منذ انهيار الخلافة، فلم يعرفوا طعم الحرية منذ عقود، وكانوا لا يلبثون أن يتخلصوا من اضطهاد حتى يرزحوا تحت احتلال أو استبداد، حتى جاءت النكسة لتدفن كل طموحاتهم.

ومع أن جيل اليوم انتفض في ربيع عربي مفاجئ، فربما ما كان ليفعل لولا أنه نشأ في ظل الإعلام الجديد وثورة المعلومات بعيدا عن تربية التخاذل والشك والانهزام، وهو لا يزال مثقلا بتراكم عبء الأجيال السابقة لقلة خبرته بتقبل الآخر.

وبعد سنتين من اندلاع الثورة السورية، وعندما أستعرض اليوم التسلسل التاريخي لأنشطة ومؤتمرات المعارضة وما تعرضت له من انشقاقات وانسحابات وخلافات منذ مؤتمرها الأول في أنطاليا، وذلك بالرغم من ضريبة التشتت الدامية وسخرية العالم، فإني لا أتفاءل كثيرا بأن يتفق يوما أقطاب المعارضة من الجيل الذي اعتاد التشكيك والحذر طوال حياته، وقد رأيت بنفسي في جلساتهم المغلقة، وضيقهم بأي نقد مهما كان بناءً، وخصوصا عندما يصدر عن الشباب الذين يحملون العبء الأكبر من الثورة حتى لو كانوا من التيار نفسه.

قد تعود هذه المشكلة إلى عدم اهتمامنا أصلا بالتربية الاجتماعية والسلوكية والتطوير النفسي، فجميع الحركات والتنظيمات والأحزاب السياسية كانت منشغلة طوال عقود بالتربية الحركية والفكرية، وربما اقتصرت تربيتها النفسية على تلقين النشء مبادئ الولاء للقادة لا أكثر.

لكن هذه المبادئ لم تجد قبولا لدى الجيل الذي أشعل الثورات مؤخرا، فهناك ظاهرة خطيرة تنتشر اليوم مفادها تمرد الشباب على كل ما يمت إلى المفكرين والمشايخ بصلة، وأصبحنا نسمع الكثير من الدعوات إلى الاستغناء عن المفتين والعلماء، مما أدى لظهور فتاوى عجيبة من قبل الثوار والمجاهدين في ظل انهيار الثقة بعلماء الجيل السابق ودعاته، وخصوصا مع تواطؤ بعض كبار المشايخ مع النظام أو صمت وتأخر البعض الآخر.

التيار الإسلامي

وتبدو مشكلة الانقطاع بين الأجيال والحساسية من النقد أكثر وضوحا بين الإسلاميين للأسف، وقد يكون لتداخل الشأن الديني بمثيله السياسي والشخصي والحركي لدى بعضهم دور كبير في ذلك، إذ نرى قدرة العلمانيين على استفزازهم السريع بمجرد إطلاق لسانهم بالسخرية من رموزهم أو تدينهم -وليس دينهم- حيث تتداخل في أذهان الكثيرين قداسة الدين مع وقار المتدين، فتغدو الإساءة للمتدين تعديا مفترضا على الدين مما يستلزم الاستنفار.

وهذا التداخل هو ما يسعى إليه العلمانيون ويسلطون عليه أضواءهم لانتقاد الفكر الإسلامي السياسي برمته، وقد بات أيضا محل نقد من قبل الجيل الصاعد المنفتح على قيم التعددية حتى لو كان متدينا، فلم يعد من المقبول اليوم تترس أحد من النقد بأي حجة، سواء كان رمزا للدين أو بطلا للمقاومة.

ومع وصول الإسلاميين للسلطة في مصر، ظهرت هذه المشكلات بوضوح أكبر في الشهور الأخيرة، فبعد أن أقر العلمانيون طوال عقود بأن الإسلاميين كانوا أكثر الناس تعرضا للاضطهاد على يد الطغاة، سرعان ما انقلبت الصورة الذهنية لدى نسبة كبيرة من المواطنين ليصبح الإسلاميون هم ممثلي الوجه الجديد للاستبداد، وقد استعان خصومهم المسيطرون على الإعلام بهفوات لا تحصى لترسيخ هذه الصورة في العقل الجمعي، بالرغم من التنازلات الكثيرة التي يقدمها الإسلاميون.

وبنظرة سريعة على وسائل الإعلام الجديد والبرامج الحوارية (توك شو) المصرية، سنجد كمّا هائلا من النقد للإسلاميين ولحركاتهم وأحزابهم وأفكارهم وسلوكهم بقدر غير مسبوق، وهو نقد متنوع بطبيعة الحال، وإن غلبت عليه السخرية اللاذعة، وقد لا يبرئه أحد من تهمة التحيز.

وهـذه هـي طبيعـة السياسـة في العـصر الحديـث، فالنقـد والتقريـع والسـخرية باتـت مـن مسـتلزمات الـصراع السـياسي في كل الديمقراطيـات الحديثـة، إذ تـكاد لا تخلـو صحيفـة أو شـبكة تلفزيونيـة في الغـرب مـن مسـاحة مهمـة للكاريكاتـير والبرامـج الكوميديـة التـي تخصـص جـزءا كبـيرا مـن نقدهـا للسياسـيين، وقـد اعتـاد السياسـيون في المقابـل عـلى تجاهـل هـذا النقـد والسـماح لـه بامتصـاص اسـتياء النـاس مـن أخطـاء السياسـة كوسـيلة للترويـح. لكـن يؤسـفنا أن يضيـق صـدر بعـض الإسـلاميين بهـذا النقـد مهـما كان لاذعـا، وحتـى لـو كان ضمـن حملـة منظمـة لتشـويه صورتهـم وإقصائهـم، فـإن قبـول الإسـلاميين بدخـول لعبـة السياسـة عـن طريـق المنافسـة الديمقراطيـة يلزمهـم بقبـول كل هـذه التبعـات، وعليهـم أن يدركـوا جيـدا عـبء حمـل هـذه الأمانـة ومـا تقتضيـه مـن تحمـل لقـدر هائـل مـن السـخرية والنقـد، كـما فعـل كل الأنبيـاء.

وبـما أنهـم رضـوا بتـداول السـلطة وفقـا للآليـة الديمقراطيـة وبالتعـرض لـكل تبعاتهـا، فلـن يعذرهـم خصومهـم إن حملـوا النقـد عـلى محمـل السـخرية مـن الديـن نفسـه، لأن كل مـن يدخـل عـالم السياسـة سيتسـاوى مـع الآخريـن، ولا حصانـة لأحـد بحجـة تدينـه.

ويسـتدعي الكثـيرون الآيـة التـي نزلـت في مـن سـخروا مـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم وصحابتـه بغـزوة تبـوك عندمـا حكمـت بكفرهـم «لا تعتـذروا قـد كفرتـم بعـد إيمانكـم»، لكـن تدبـر الآيـة يسـتدعي التوقـف عنـد الخيـط الرفيـع الفاصـل بـين السـخرية مـن الديـن ورمـوزه وبـين السـخرية مـن الأشـخاص.

وحتـى لـو حكمنـا بكفـر مـن يسـخر مـن الإسـلاميين، فـإن ظـروف المرحلـة تسـتدعي أخـذ الأمـر عـلى محمـل السـخرية السياسـية لا أكثـر، وأن يظـل الـرد محـدودا في سـاحة السياسـة والإعـلام دون نقلـه إلى سـاحة القضـاء والإفتـاء، وهـذا كلـه مسـتفاد مـن براعـة النبـي صـلى الله عليـه وسـلم السياسـية في التجـاوز عـن بعـض الأخطـاء التـي لا تـضر بكيـان الدولـة، ومـن ذلـك قولـه لعمـر بـن الخطـاب «معـاذ الله أن تتسـامع الأمـم أن محمـداً يقتـل أصحابـه» [أحمـد]، وكذلـك تسـاهله مـع مـزاح النعيـمان بـن عمـرو الـذي بلـغ حـد الكـذب والإسـاءة في حـق صحـابي شـهد بـدراً، فظـل يضحـك منـه عامـا كامـلا بـدلا مـن محاكمتـه.

ومـع تواصـل الـصراع الدمـوي في سـوريا، وتزايـد التسـاؤلات بشـأن المسـتقبل السـياسي للبلـد الـذي لم يعـرف إلا الاسـتبداد البعثـي والاضطهـاد للإسـلاميين، أعتقـد أن المسـؤولية سـتكون مضاعفـة عـلى إسـلاميي سـوريا، فهـم لم يخوضـوا تجربـة سياسـية تذكـر منـذ عقـود، كـما أنهـم يقـودون اليـوم قتـالا عسـكريا عنيفـا دون أي منافـس في الميـدان، وسـيأتي يـوم يضطـرون فيـه لإلقـاء السـلاح والتنافـس الحـر عـلى أصـوات الشـعب، وربـما سـيكون عليهـم أيضـا تحمـل أخطـاء مـن سـبقهم مـن زملائهـم إلى السـلطة في دول الربيـع العـربي، فهـل سـيتعلمون مـن أخطـاء مـن مهـدوا لهـم الطريـق؟ وهـل سـيخرجون مـن سـاحة المعركـة بصـدر أرحـب لاسـتيعاب نقـد وتجريـح خصومهـم أم أن طبـع المحـارب سـيغلب عـلى نفوسـهم في المرحلـة المقبلـة؟

حتى نعذر بعض السياسيين

:: عبد الرحمن جعفر

قد يفكّر المعارض في ثورتنا أحيانا أن ينتقل من ساحة الثورة السياسية إلى الميدانية لأسباب عديدة، أهمّها أن الإنجازات والمكاسب العسكرية واضحة، والنظام المجرم الذي يحكمنا لا يفهم بخبثه ودجله غير هذه اللغة، إضافة إلى أن قتال ومواجهة النظام عسكريا يعطي للمعارض قيمة ومنزلة أخلاقية ووطنية ودينية وقاعدة شعبية، في مقابل أن اختلاط وتعقيد الأوراق سياسيا وتداخلها يجعلها تستثير غضب ونقمة الرأي العام من السياسيين والعمل المعارض برمّته.

لكن مع هذا فلكل ميدانٍ رجاله، فكما أن هروب المقاتل -الذي لا يجيد السياسة- من الميدان العسكري للعمل السياسي هو جبنٌ وانهزام، كذلك فإن أجبن قرار ممكن أن يتخذه السياسي النزيه الكفء في زماننا هو النزول إلى ساحة المعركة العسكرية هارباً من المعركة السياسية وضراوتها وخطورتها وتبعاتها، تاركا إياها لغيره الذي ربما يسير بها إلى الهاوية، خيانة أو جهالة أو عدم مسؤولية، إذ قد يترك العمل السياسي المعارض نهائيا أو يتجه إلى العسكري، لكونه يرى المواجهة ميدانيا أيسر للأسباب آنفة الذكر، ولأن معطيات المعركة الميدانية أشدّ وضوحاً؛ ففيها يدرك عدوّه أمامه، وقد لا يتردد في اتخاذ قراره، وإن استشهد في ساحة المعركة يكرّم ويعلو شأنه، بل يعلو شأن عائلته ومدينته لعظمة تضحيته التي يستحقّ الثناء والتقدير عليها في الدنيا، والمنزلة العالية الرفيعة عند الله تعالى.

أما السياسة فقد يلقى في يمّها مكتوفا لا طاقة له فيها بمواجهة موجات العداء العاتية التي يتلقّاها من كل حدب وصوب، والمتمثّلة في ثورتنا بضغط الداخل الذي يريد الوصول إلى شاطئ النجاة، وسياسة النظام وأعوانه، وسياسة المجتمع الدولي وأياديه الممتدة بوجه الثورة وثوارها.

وقد يهرب السياسي الكفء من معركته السياسية لأنه يرى في المسؤولية الميدانية أقل تأثيراً أحيانا، في مقابل ثقل ما يحمله من همّ وغمّ معاركه السياسية التي لا يدرك الشارع حقيقة ضراوتها وخطورتها على الثورة؛ لأن السياسي يدخل في صراعات مع أشخاص وتيارات قد تقفز على الثورة وتبيعها، وتفاوض، وتقدّم وتؤخر، وتتلوّن أمام ذلك المخلص الذي تواجهه في معركته خياراتٌ أحلاها مرّ؛ فقد يُخوَّن، ويُتّهم ممن

لا يعرف طبيعة المعركة والمعتركين، وقد يجتهد أحياناً مرغما وهو يعلم أن لاجتهاده أعداؤه ومنتقدوه الذين إما أساؤوا فهمه لغياب الحقيقة عنهم، أو لأنه وقف عثرة أمامهم لتحقيق مرادهم أيا كان دافعه.

والمشكلة بعد هذا كلّه أنّه -وبعد كلّ معاناته- قد لا يفهمه إلا أهل السياسة المطلعين على وقائع الأمور على حقيقتها، أما العوام والبعيدون عن المعطيات والأحداث التي قد تفرض عليه، فلا ينتظر منهم -ربما- غير قولهم: أنت خائن، وأنت جاهل، وأنت عميل، إلى غير ذلك من الصفات التي قد تجعل الهروب وتقديم الاستقالة أفضل من غيرها عند الكثيرين.

إن تولي شؤون الثورة السياسية -كما هي الميدانية والعسكرية- مسؤوليةٌ وهمٌّ وجهادٌ، وثغرٌ لا يستهان به من ثغور الثورات، لا يعلمه إلا من يعيشه ويمارسه، تتداخل فيه الأمور، وتتعدّد فيه المخاطر، وتختلف فيه وجهات النظر، وقد يترتب على القرار المتخذ فيه خطأً ضعف أو انهيار الثورة، أو دخولها في نفق مظلم لا يُعلم مصيره.

لكن مع كلّ المصاعب والمعاناة التي يواجهها السياسي قد يخفف عنه أن يتفهّمه الثائر الميداني والعسكري ويعذره، وينتقل نقده له من النقد السلبي المتمثّل بالتخوين والتسفيه، إلى النقد الإيجابي الموضوعي البناء.

ولعلّ هناك أسئلة كثيرة تدور في خلد السياسي الكفء النزيه، تخفف الإجابة عنها بعض معاناته في الثغر الخطير الذي يقف عليه؛ إذ يتساءل في كل لحظة:

- هل يدرك الثوّار خطورة المعارك السياسية وكيف يمكن لعدوّنا أن يلتفّ على الثورة سياسيا فتضيع دماء أهلنا وتضحياتهم هدرا؟!

- هل يعي الثوّار أنه لولا ثبات المخلصين في المعارك السياسية، لرأينا أمثال بشار الأسد وعصابته يخرجون إلينا بحصان طروادة، ينتظرون عودتنا من ثورتنا لينقضّوا عليها وعلى من ثار بها؟!

- هل يعلم الثوّار أن معاقل الثورة السياسية هو جمرات ومرات من أنظمة عربية متواطئة، ومجتمع دولي ناقم، وتمّ صدّها من مخلصي الثورة السياسيين؟!

- هل يعلم الثائر أن الثورة كشفت لنا عن أن سورية كانت مباعة للمجتمع الدولي، وأن نظام الأسد لم يكن بها إلا حارسا لمصالحهم بها، وأن أي إسقاط لهذا النظام، واختيار أي بديل عنه لن يرضى عنه هذا المجتمع إلا بحمايته لتلك المصالح، وأن سبب سخط المجتمع الدولي على المعارضة كونها متمسّكة بمبادئ الثورة التي تنصّ على إسقاط النظام بجميع رموزه وأركانه، وبالسيادة الكاملة لسورية وشعب سورية على كامل أراضيها؟!

- هل يعلم الثوار أن كلا من النظام والمجتمع الدولي زرع بين المعارضين عملاء وفتح لهم

قنوات الإعلام والاتصال لكي يخرقوا جبهات المعارضة ويضللوا الرأي العام؟! وأن المجتمع الدولي ينتظر الفرص السانحة لتسليمهم مقاليد الحكم؟!

- هل يعلم الثوار بأن الأسلحة السياسية والإعلامية التي تواجه بها ثورتنا من أخبث الأسلحة التي صاغها بل قد يعجز عنها إبليس، وأن سهامها أشدّ فتكا وتأثيرا بالثورة من عشرات الصواريخ البالستية؟!

- هل يعلم الثائر أن السياسي لا يستطيع التحرك دون تضحيات العسكري، ولا العسكري دون السياسي؟!

- هل يدرك الثوار أن التخوين وشتم الآخر وتهجّمه عليه والتنازع والتفرّق بين الثوار على كل الجبهات، هي سياسةٌ زرعها فينا الاستعمار، قبل أن يثبتّها ويوطّد أركانها نظام الأسد الذي استعبدنا على مبدأ «فرّق تسد»؟!

وختاما أرجو أن لا يفهم من كلامي أنني أنتقص من قدر المقاتل في الميدان، لأنه بالرغم من كل ما ذكرت؛ فإنه لا يستوي المقاتل الميداني -الذي يجاهد بماله وروحه- مع غيره، «فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة وكلاً وعد الله الحسنى» [النساء: ٩٥].

ولكن ما قصدته الإنصاف ثمّ الإنصاف؛ فالثورة كلّها ثغور، ومُهمّة كل واحد منا أن لا يؤتى من قِبله أيا كان موقعه، وأن يخلص في موقعه أياً كان، مدركاً أن قيمته كثائر هي في إخلاصه أولاً لهذا الوطن وهذه الثورة، ومن ثمّ اتقانه لمهمّته التي تخدم الثورة، في الموقع الذي يراه مناسبا، سياسياً كان أو اقتصاديا أو عسكريا أو إغاثيا.

باعتقادي أنّ هذه المرحلة ليست مرحلة الصّمت على الأكاذيب التي يحاول هذا الطرف أو الآخر نشرها والتسويق لها حول الإسلاميين .. لكن ما أعتقده أيضاً أنّنا ما زلنا نفتقد الكثير من أصحاب الأقلام القوية والعميقة في طرحها ومناقشتها ونقدها نقداً موضوعياً وشفافاً، وتفنيدها لكل هذه الأكاذيب والشائعات التي يبثّها الحاقدون في الليل والنّهار على الإسلاميين وخاصة في هذه المرحلة!

مدوّنة أروى عبد العزيز
على موقع facebook

فتاوى

:: لجنة الفتوى في رابطة العلماء السوريين
www.islamsyria.com

ورد السؤال الآتي إلى المكتب العلمي في رابطة العلماء السوريين:

استفتيت من بعض من في الثغور في القصير تحديداً، أنهم أعطوا أماناً لأحد الأعداء ممن قَدِم من خلف الحدود إن هو ألقى سلاحه ألا ينال بسوء، فسلّم نفسه قبل القدرة عليه، ثم تبيّن بعد ذلك أنه قتل واغتصب، أرجو الجواب إذ تريّثْتُ لمزيد من التثبت، وفقكم الله لما فيه رضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الجواب:

فإنّا نحمد الله أن وفق السائلين إلى التثبّت في أحكامهم وبخاصة فيما يتعلق بالدماء، فهذا يعطي الناس اطمئنانا أن الأحكام الصادرة قامت على الأدلة والتثبت في التحقيق، ولم تصدر عن روح الانتقام المنفلت من الضوابط الشرعية، وفي ذلك تشجيع لعساكر النظام على الاستسلام بعد إعطائهم الأمان مما يحقن الدماء ويخفف عن الثوار ويحقق لهم الانتصارات.

وإن هذا الذي أعطاه الثوار الأمان فألقى سلاحه وسلّم نفسه قبل القدرة عليه، يجب الوفاء بعهده، ولا يُمَسّ بسوء وإن كان قد فعل ما فعل، عملاً بقوله تعالى: «يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ» [المائدة: ١]، قال ابن عباس يعني: العهود، يعني: ما أحل الله وما حرّم وما فرض وما حدّ في القرآن كله، ولا تغدروا ولا تنكثوا، ثم شدّد في ذلك فقال تعالى:«وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ» [الرعد: ٢٥].

وعملاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم : «المسلمون تتكافأ دماؤهم يسعى بذمتهم أدناهم، ويجير عليهم أقصاهم وهم يد على من سواهم، يرد مشدهم على مضعفهم ومتسرعهم على قاعدهم، لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده». رواه أبو داوود، قال في [عون المعبود ٧ / ٣٠٢] (قال في شرح السنة: أي أن واحداً من المسلمين إذا أمّن كافراً حَرُم على عامّة المسلمين دمُه وإن كان هذا المجير أدناهم مثل أن يكون عبداً أو امرأة أو عسيفاً تابعاً أو نحو ذلك فلا يخفر ذمته)، ويجير عليهم أقصاهم (قال الخطابي: معناه أن بعض المسلمين وإن كان قاصي الدار إذا عقد للكافر عقداً لم يكن لأحد منهم أن ينقضه وإن كان أقرب دار من المعقود له) انتهى.

وهذا حكم من أعطاه الثوار الأمان ولا نعلم إن كان قد تاب أم لم يتب، وأما معرفة ذلك فهذه تعلم عن طريق سؤاله وحاله، ونحن نعلم في واقع الحال في سوريا – فرج الله عنها – أن من يطلب الأمان ليسلّم نفسه فإنه يفعل ذلك غالباً عن ندم يشعر به بعدما تبين خطؤه ويريد أن يرجع للصواب، وما التوبة إلا الندم، لحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «الندم توبة». [أحمد ١/ ٣٧٦ وابن ماجة (٤٢٥٢) وصححه ابن حبان (٦١٢)]، وأنتم تعلمون أن الإعلام الفاجر شحن عقول كثير من الجنود لديه بالخوف من الثوار بأنهم سيقتلونكم ويذبحونكم إن قبضوا عليكم، ومن هنا يَطلُب الذي يريد الانشقاق والاستسلام الأمانَ بعدما تبين له الحق، ولذلك فإن الأمان لازم له، ويترك لربه، فإن كان كاذباً أهلكته ذنوبه، وقد ذكر البغوي في تفسيره: (أنه روي عن علي رضي الله عنه في حارثة بن يزيد كان خرج محارباً فسفك الدماء وأخذ المال، ثم جاء تائباً قبل أن يُقدَرَ عليه فلم يجعل علي رضي الله عنه عليه تبعة

في دم ولا مال، إلا أن يوجد معه مال فيُرَدُّ إلى صاحبه).

وروى ابن جرير عن عَامِر الشَّعْبِيّ قال: (جاء رجل من مراد إلى أبي موسى، وهو على الكوفة في إمرة عثمان، بعد ما صلى المكتوبة فقال: يا أبا موسى، هذا مقام العائذ بك، أنا فلان بن فلان المرادي، كنت حاربت الله ورسوله، وسعيت في الأرض، وإني تبت من قبل أن تقدر عليّ! فقام أبو موسى فقال: هذا فلان ابن فلان، وإنه كان حارب الله ورسوله، وسعى في الأرض فساداً، وإنه تاب قبل أن يُقدَرَ عليه، فمن لقيه فلا يَعرِض له إلا بخير، فأقام الرجل ما شاء الله، ثم إنه خرج فأدركه الله جل وعزّ بذنوبه فقتله).

وذكر ابن قدامة في [الشرح الكبير] هذه المسألة فقال: (ومن تاب منهم قبل القدرة عليه سقطت عنه حدود الله تعالى من الصلب والقطع والنفي وانحتام القتل، وأخذوا بحقوق الآدميين من الأنفس والجراح والأموال إلا أن يعفى له عنها لا نعلم في هذا خلافاً). وبه قال مالك والشافعي وأصحاب الرأي وأبو ثور، والأصل في هذا قول الله تعالى: «إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم» [المائدة: ٣٤-٣٥].

فأما إن تاب بعد القدرة عليه لم يسقط عنه شيء من الحدود للآية، فأوجب عليهم الحد ثم استثنى التائبين بعد القدرة فمن عداهم يبقى على قضية العموم، لأنه إذا تاب قبل القدرة فالظاهر أنها توبة إخلاص، وبعدها الظاهر أنها تقية من إقامة الحد عليه، ولأن في قبول توبته وإسقاط الحد عنه قبل القدرة ترغيباً في توبته والرجوع عن محاربته وافساده فناسب ذلك الإسقاط عنه، وأما بعدها فلا حاجة إلى ترغيبه لأنه قد عجز عن الفساد والمحاربة. انتهى. الشرح الكبير لابن قدامة [١٠/ ٣١٣].

وأما إن اعتبرناه من أهل الحرابة وقد تاب من حرابته قبل القدرة عليه وأُعطِيَ الأمانَ السابق، فمن باب أولى كذلك أنه لا يمس بسوء وتسقط عنه عقوبة الحرابة بتفاصيلها، عملاً بقوله تعالى: «إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُواْ عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» [المائدة: ٣٤-٣٥].

قال ابن كثير: (أما على قول من قال: إنها في أهل الشرك، فظاهر، وأما المحاربون المسلمون فإذا تابوا قبل القدرة عليهم فإنه يسقط عنهم انحتام القتل والصلب وقطع الرِّجل، وهل يسقط قطع اليد أم لا؟ فيه قولان للعلماء، وظاهر الآية يقتضي سقوط الجميع وعليه عمل الصحابة).

تنبيه:

اشترط بعض الفقهاء في صحة عقد الأمان أن يكون لمصلحة المسلمين واشترط بعضهم على الأقل أن لا يكون فيه ضرر على المسلمين، والذي نفهمه من إعطاء الأمان للمقاتل أن يكون في الحالة العامة المعروفة في القتال وهي قيام حرب بين فريقين فيُعطي أحدهما أو بعضُ من في الصف الأمانَ لبعض مَن في الفريق المقابل، وهذا يعني أن أي حالة فيها زيادة على المفهوم العام فلا بد من أن يكون لها حكمها الخاص، ومن ذلك حالة إعطاء الأمان للذي ارتكب جرائم كمن ارتكب جريمة الاغتصاب مثلا أو القتل في غير اشتباك القتال، وعليه: فإن الوضع في سوريا يقتضي من قادة الكتائب وكافة العناصر ألا يعطوا الأمان لعناصر الأمن والشبيحة والقناصة إلا في حالات خاصة واستثنائية، يتحقق من خلالها انكفاف شرّ هؤلاء المجرمين عن الناس؛ لأن مقتضى الأمان تركهم ليذهبوا في حال سبيلهم، وفي هذا فساد وضرر عظيم على الناس، لاحتمال عودتهم الإفساد في الأرض بقتل المتظاهرين وقنصهم ونحوه.

والأَوْلى عند الحاجة لإعطاء الأمان: أن يكون أماناً مشروطاً، كأن يقال لهم: نعطيكم الأمان بشرط تسليم أنفسكم، أو بشرط قبولكم لمحاكمة عادلة، أو انشقاقكم عن الجيش والتحاقكم بركب الثورة، ونحو ذلك، وفي حال إعطاء الأمان لهم مع وجود ضرر من وراء هذا الأمان، فإن الأمان يكون باطلاً غير لازم.

ولكن لا يجوز استئناف قتال من أعطي له هذا الأمان الباطل إلا بعد إعلامهم بذلك؛ لوجود شبهة الأمان، ونفياً للغدر والخيانة، كما قال تعالى: «وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» [الأنفال: ٥٨] أي: أعلمهم بنقض أمانهم حتى تصير أنت وهم سواء في العلم بالنقض، وقال ابن تيمية في «الصارم المسلول»: «ومعلوم أن شبهة الأمان كحقيقته في حقن الدم».

والله تعالى أعلم

د. مُصْطَفَى السِّبَاعِي

:: أسامة السيد عمر

جرت عادات الأمم أن تحتفي بمبدعيها وعلمائها والبارزين منها في مختلف ضروب الحياة، ويحق لنا نحن أن نحتفي ونفتخر بشخصية جمعت العديد من ضروب العلم وكثيرًا من خبرات الحياة، وصنعت مواقف في زمن مضطرب فقد فيه الكثير بوصلته، وأضاع طريقه، وتاه في دروب الحياة المعوجة أحيانا والمعقدة في كثيرٍ منها.

وكما أنه كان للدعوة في النصف الأول من القرن الماضي جروح أصابت منها مواجع عديدة، بدءاً بسقوط الخلافة، ومرورا باحتلال أمصار ودول العروبة والإسلام وتقسيمها، وانتهاءً بنكبة فلسطين، بالإضافة لتمزيق الفكر وضياع أربابه بين الأفكار الدخيلة والمذاهب المستوردة، وقعود المسلمين عن العمل النهضوي، وتراجع الفكرة الإسلامية إلى الخلف واستبدالها بغيرها على أيدي أدعياء التمدن والتغرب؛ فقد كان من أبناء سورية من أعاد العمل الإسلامي للصفوف الأولى وردّ الناس إلى دينهم وأنار الله بهم قلوبا وأحيى بهم نفوسا وأجرى الله على أيديهم خيرا عظيما.

وكان في مقدمتهم الشيخ مصطفى السباعي رحمه الله تعالى، الذي كان له إنجازات عظيمة وإرث علمي وفكري واسع يعجز كثيرون عن صناعته ولو قضوا من الأعمار ضعف ما مكث الشيخ السباعي.

ولد الدكتور مصطفى حسني السباعي في مدينة حمص بسورية عام ١٩١٥، ونشأ في أسرة علم ودين، وكان أبوه وأجداده يتولون الخطابة في الجامع الكبير بحمص، وقد تأثر في أول نشأته بأبيه العالم المجاهد الشيخ حسني السباعي الذي كان يطلب منه أن يخطب في إخوته في البيت منذ نعومة أظفاره، فكان يصعد على طاولة ويتحدث لأبيه وأمه وإخوته والكل ينصت له في خشوع وتدبر. فنشأ رحمه الله خطيبا بليغاً وداعية مؤثرا، ولم تكن العائلة تدري أن هذا الذي يخطب في أهله سيكون خطيب أمته ونبراسها يوما ما.

وكان والده رحمه الله يصحبه إلى حلقات ودروس علماء حمص، فحفظ القرآن الكريم مبكراً، وتلقى العلوم الشرعية، ثم التحق بالمدرسة المسعودية، ومن ثم بالثانوية الشرعية التي تخرج فيها عام ١٩٣٠، قبل أن يسافر إلى مصر لينضم لقسم الفقه في الأزهر عام ١٩٣٣.

نشأ السباعي في ظل ظروف قاسية كانت تمر بها سورية تحت الاستعمار، اتسمت بالفساد والجهل والتراجع الديني والفكري والتأخر الأممي، فكان أول عملٍ قام به في صغره هو تأليف جمعية سرية لمقاومة مدارس التبشير الأجنبية، ودعا إلى محاربة الاستعمار ومدارسه ومظالمه من فوق المنابر بخطب مثيرة، وكان يقود المظاهرات الصاخبة، مما أزعج السلطات الاستعمارية الحاكمة، فألقي القبض عليه أول مرة عام ١٩٣١ بتهمة توزيع نشرات ضد سياسة فرنسا في المغرب، ولكنهم أفرجوا عنه تخفيفًا للهياج الشعبي الذي أعقب اعتقاله، واعتقل مرة ثانية عام ١٩٣٢ وسجن عدة أشهر، وعندما أفرج عنه سافر إلى مصر عام ١٩٣٣ والتحق بالأزهر ليتابع دراسته، وفي هذه المرحلة من حياته بالتحديد تواصل مع الداعية الكبير حسن البنا، ورأى

فيه بغيته وطريقته، وانتظم في جماعة الإخوان المسلمين.

وكانت مصر وقتها تغلي وتئن تحت ظلم المستعمر، فاشترك السباعي الشاب مع إخوانه في العمل الوطني، وتزعم طلاب الأزهر وقاد المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني، مما دعا المستعمرين الإنجليز إلى القبض عليه وسجنه عام ١٩٣٤، ثم سجنوه مرة ثانية عام ١٩٤٠ وأخرجوه من مصر، وما كاد يصل إلى سورية عام ١٩٤١ حتى قبض عليه الفرنسيون خوفًا من أن يثير عليهم الجماهير، فزجوا به في سجون حمص ولبنان مدة سنتين ونصف، ثم خرج من السجن وتابع نشاطه في الدعوة إلى الإسلام، وأعلن قيام «جماعة الإخوان المسلمين» عام ١٩٤٥، وقاد الجماعة قيادة الحكيم، وأوجد في سورية تيارًا إسلاميًّا واعيًا استقطب خيرة الشباب.

ثم عاد إلى مصر للدارسة، فنال الدكتوراه عن أطروحته «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» بدرجة الامتياز عام ١٩٤٩.

وكعادة كثير من المربين والمفكرين، فقد عمل السباعي مدرسا لفترة من الزمن في مدارس حمص قبل أن يؤسس مع إخوانه «المعهد العربي الإسلامي» في دمشق، وكان أول مدير لهذا المعهد، وكان الهدف أن يكون منارة لعلوم الدين والدنيا على المنهج الإسلامي الأصيل في وقت قلّت فيه هذه المدارس، ثم عُرِضَ عليه العمل أستاذًا في كلية الحقوق بجامعة دمشق، فعين فيها عام ١٩٥٠، فكان من ألمع أساتذة الجامعة في فن التدريس فضلا عن خصب إنتاجه العلمي.

وفكر الدكتور السباعي في إنشاء كلية خاصة مستقلة للشريعة الإسلامية تكون إحدى كليات الجامعة، تعمل على تخريج علماء في الشريعة الإسلامية على أرفع المستويات العلمية والفكرية.. ونجحت مساعيه رغم العراقيل والصعوبات التي وضعت في طريقه، وتمّ تأسيسها عام ١٩٥٥، وكان أول عميد لها.

كما عمل مع بعض الإخوة على إنشاء موسوعة للفقه الإسلامي تهدف إلى إحيائه وصياغته صياغة جديدة وتبويبه وتصنيفه على أحدث الأساليب المتبعة في العالم، ولم تمنعه هذه الانشغالات والمتابعات عن دروس الوعظ والإرشاد والتوجيه التي لم يغب عنها يوما، فقد كان حريصا على اللقاء بالعامة والتواصل معهم من خلال الخطب والندوات والمؤتمرات، بالإضافة إلى الدروس الخاصة لطلبة العلم التي كان يحرص عليها حتى في أيام مرضه الشديد، ولمّا طالبه إخوانه بشيء من الراحة لجسمه كان يقول: «خير لي أن أموت وأنا أقوم بواجبي نحو الله من أن أموت على فراشي، فالآجال بيد الله، وإن ألمي من حرمان الطلاب من دروس التوجيه أشد وأقسى من آلامي الجسدية، وحسبي الله وعليه الاتكال».

أما قضية فلسطين فقد كانت عند السباعي قضية العقيدة ومقدساتها المهددة. فلما أعلن قرار التقسيم طاف أنحاء البلاد يثير الجماهير المؤمنة ويلهب فيها روح الاستشهاد في سبيل الله.. وفي عام ١٩٤٨ اندفع في مقدمة الركب يقود كتائب الشباب المؤمن، فخاض بهم المعارك القاسية حول مدينة القدس، وفي أرض المعركة استمروا يقاتلون ببسالة وشجاعة نادرتين إلى أن توقف القتال بتوقيع الهدنة وإبعاد المجاهدين عن أرض المعركة.

كما كان السباعي على رأس الذين لا يعدون السياسة مهارة في كذب أو لباقة في خداع، وإنما السياسة أن يهتم المسلم بأمر المسلمين ليكون منهم، وأن خير السياسة ما كان قائمًا على تقوى وهدى وبصيرة.

والسباعي لم يكن ابنًا لمدينة حمص وحدها وإنما كان ابن الإسلام أينما كان، ولذلك اختارته دمشق نائبًا عنها في الجمعية التأسيسية عام ١٩٤٩، فاتجهت إليه الأنظار والتفت حوله القلوب، وانتخب نائبًا لرئيس المجلس وأصبح عضوًا بارزًا في لجنة الدستور وأحد الأعضاء التسعة الذين وضعوا مسودة

الدستور، وقد بذلت له العروض بإلحاح وإغراء للدخول في الوزارات المتعاقبة فرفضها مؤثرًا العمل الشعبي، والعيش مع مشكلات الجماهير وقضاياها.

ولنشر فكرته وتوعية الناس بالمبادئ التي يهتدون بها بادر إلى الصحافة واستغلها لخدمة دعوته، فساهم مع إخوانه في تأسيس جريدة المنار عام ١٩٤٧ وعالج فيها أهم مشاكل الأمة. وفي عام ١٩٥٥ أسس مع إخوانه جريدة «الشهاب» التي استمرت حتى عام ١٩٥٨. وفي عام ١٩٥٥ نفسه أصدر مجلة «المسلمون» بعد احتجابها في مصر. وفي عام ١٩٥٨ رأى تغيير اسم المجلة فسماها «حضارة الإسلام» وأعطاها من جهده وفكره ما جعل منها مدرسة للفكر الإسلامي الأصيل، وجعلها منبرًا للدفاع عن قضايا العالم الإسلامي الكبير، وأفرد فيها بابًا للقضية الفلسطينية باسم «الدرة المغتصبة».

وهكذا كانت حياة السباعي رحمه الله، صفحات تاريخية تزخر بالمفاخر والمآثر والبطولات والتضحيات وجلائل الأعمال. فكان الداعية الفذ الذي وهب دعوته وفكرته كل ذرة من جهده وفكره وقلبه وروحه وأعصابه وحياته، حتى السنوات الأخيرة من حياته التي هجم فيها عليه المرض واستمر ثماني سنوات حمل خلالها من الآلام ما لا يقدر على حمله أشداء الرجال.

ورغم هذه الآلام فقد كانت فترة مرضه هذه من أخصب فترات حياته إنتاجًا فكريًّا وأدبيًّا واجتماعيًّا، رغم إصرار الأطباء عليه بالتوقف عن الكتابة بسبب مرضه، ولكنه كان يأبى ذلك ويصر على متابعة الكتابة. وضرب أستاذنا السباعي عليه رحمه الله خلال مراحل مرضه أروع آيات الصبر الجميل مع ما فيه من الرضا والتسليم لقضاء الله.

وفي يوم السبت الثالث من تشرين الأول ١٩٦٤ وفي مستشفى المواساة في دمشق، انطفأت الشعلة المتوقدة، وانتقل السباعي إلى جوار ربه عن عمر لم يتجاوز ٤٩ عاما.

وخرج مئات الآلاف من أبناء سورية، بل خرجت دمشق عن بكرة أبيها، تودع قائدها إلى مثواه الأخير.

رحمك الله يا شيخنا، وجمعنا بك في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

مؤلفاته الفكرية :

من خلال نظرة فاحصة على أهم ما كتبه السباعي رحمه الله، نجد أنه لم يكتب في علم وفن واحد، بل كانت كتبه في مختلف الموضوعات الفقهية والفكرية، ومد المكتبة الإسلامية بزادٍ ضخم تعلمت منه الأجيال لعقود، ومن أهم كتبه:

- الدين والدولة في الإسلام
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي
- نظام السلم والحرب في الإسلام
- المرأة بين الفقه والقانون
- أخلاقنا الاجتماعية
- اشتراكية الإسلام (ألفه عام ١٩٥٩)
- المرونة والتطور في التشريع الإسلامي

عندما يضحي المسلم بروحه نسميه شهيدا والله يعده بحياة وجنات ونعيم فعجبا لمن يزاحمنا على لقب الشهادة وهو غير مؤمن... ربما لأنهم استساغوا المزاحمة باسم الديمقراطية

أعزاءنا... في الآخرة

«إن الحكم إلا لله»

يمان حسناوي
www.facebook.com/yhasnawi

تحيات
بعد سنتين من التقدم والثبات

:: علي المحيمد الحسيني

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد فإن القلب ليتعصر ألمًا يسايره أمل! ألمٌ على تأخر النصر الذي وَعَدناه الله عز وجل إن جاء إبَّانُه، ويجيء إن عملنا بمقتضاه، وألمٌ على ما ألَمَّ بالبلاد والعباد أنفثهما من روع هذه التحيات:

تحية وصلاة ورحمة على أرواح شهدائنا الأبرار، اللهم صل على كل شهيد كما صليت على آل أبي أوفى فإنه قد وعدك فأنجز وعده فأوفى [1].

«وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١)» [آل عمران].

السلام عليكم يا عباد الله الصالحين، سلام عليكم في الخالدين، إن الله لا يضيع أجر العاملين.

تحية من عبق الماضي التليد إلى شذا الحاضر العتيد، يلفها المسك والعنبر ويلفحها ياسمين الشام، تنعشها نسائم قاسيون إلى المقاتلين الأشاوس الكرام، حياهم الله، حيتهم السماء، حيتهم الأرض، حيتهم الأشجار في الربيع عند خضرتها، حيتهم الأزهار عند تفتحها وشذاها ونضارتها

حياهم الرعد إن صالوا وإن وثبوا
وإن هم من عناق السيف ما تعبوا
يا ثورة تاجها أنتم وهامتها
شمس النهار وقد دانت لها السحبُ
في صدر صفحته التاريخ سطركم
والمرجفون من التاريخ قد شطبوا [2]

حيا الله الكتائب الباسلة المقاتلة الضارية ضرواة الأسود، حيا الله الأشاوس، حيا الله الرجال وزنود الرجال التي امتدت للزناد لتسطر الأمجاد.

(١) إشارة إلى حديث الصحيحين أن عبد الله بن أبي أوفى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل عليهم فأتاه أبو أوفى بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى .

(٢) من قصيدة للشاعر المبدع الكبير الأستاذ إسماعيل الحمد، خص بها أهل مدينة القورية أول الثورة وعنوانها: الحدباء. وقد طبعت ضمن ديوانه : أزهار دامية -مجموعة شعرية من وحي الثورة السورية- وهو شاعر الوطن الجريح كما لقب نفسه، وأرى أن يلقب «أمير شعراء الثورة».

وتحية إلى الجرحى إن برأت جروحهم، وإن سبقتهم أشلاؤهم إلى جنان الخلد لتبدل هناك بأشلاء لا تبلى «غدوة في سبيل الله أو روحة خير مما طلعت عليه الشمس وغربت» [مسلم]، فكيف بمن جرح في الله ولم يكتف بالغدو والرواح، لم يكتف بغبار استنشقه أو بارود شم رائحته. «.. ومن جرح جرحاً في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجئ يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران وريحها ريح المسك ومن خرج به خراج في سبيل الله كان عليه طابع الشهداء» [أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود]

تحية إلى الأيتام والأرامل والآباء والأمهات والإخوة والأخوات وسائر أقارب الشهداء.

تحية قلبية إلى كل أم ثكلى حنون قطع الفراق أوصالها، وهجر ابنها الشهيد في عالم الدنيا وصالها؛ فبكته بدموع حرّى لا تنضب حتى تلحق به فتجده شفيعا لها أمامها في جنان الخلد إن شاء الله، وإلى كل الخنساوات الصابرات اللواتي أَحْيَيْنَ تماضر العامرية من قبرها.

تحية إلى كل زوجة رؤوم صبرت أو تصابرت فصارت أرملة، أو أرملة وأم أيتام، تولاك الله أختاه وتولى أيتامك، إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار.

تحية إلى الأيتام الذين لوع الفراق قلوبهم أو الذين لا يدركون معنى الفراق لغضاضتهم.

تحية الى المشردين الذين هجروا منازلهم وتشتتوا وتفرقوا ظلما وعدوانا (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) [البروج: ٨]

أطفالها في خيامِ الموتِ ينهشُهم
خوفٌ وبردٌ وتجويعٌ وتشريدُ
وتضحكُ الأرضُ بالأطفالِ زاهيةً
والشامُ قد عُوجلت فيها الموالِيدُ
تظلُّ موعودةً بالعيدِ يبهجُها
وكمْ تولّت وخانتْها المواعيدُ[1]

حيا الله شعبا لم يرتض بانحناء جبهته إلا لله ولسان حاله:

يا [شام] لم أشعر برأسي ينحني .. كان هذا الرأس من أعضائي
حيا الله رجالا ونساء وأطفال أبَوا أن يسجدوا إلا لله، إي والله أبو أن يسجدوا لغير الله..

في الشام شعب إذا فرقته اتحدا والكلب كلب ولو سميته أسدا
زورا تظن إذا قطعتهم سجدوا الشعب هذا لغير الله ما سجدا[2]

حيا الله المتوحدين والساعين للوحدة إن في الداخل أو في الخارج، إن في الكتائب المقاتلة وإن في المعارضة الخارجية، فقد قرن الله عز وجل الفشل بالتفرقة وذمها، ألا ترون أن الزوجين لو دب بينهما النزاع آل زواجهما إلى الفشل ما

(١) الضمير في أطفالها عائد إلى الشام بحسب القصيدة، وهي للشاعر الأستاذ إسماعيل الحمد عنوانها : (العيد في الشام) من ديوانه المذكور، وقد لحنها وأنشدها صديقنا المنشد القدير جميل الصبان، وهي منشورة على اليوتيوب.

(٢) لم أهتد لقائل هذه الأبيات أسأل الله أن يجزل له المثوبة والعطاء.

لم يصلحا ويصطلحا على أمر يسيّران عليه في سفينة الحياة؟ يقول الله جل في علاه «وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» [الأنفال: ٤٦]

وتحية خاصة وقلبية إلى الكتائب الأبية إلى الذين وضعوا نصب أعينهم: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» [الحجرات: ١٠]، وضعوا نصب أعينهم «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» [محمد: ٧]، وضعوا نصب أعينهم القولة المتداولة الصحيحة: (إن غابت التقوى فالنصر للأقوى).

تقبلوا مني جميعا هذه التحيات الطيبات، وأبشروا جميعا بيوم الفرح والابتهاج، أبشروا بيوم العيد، يوم تثأرون ممن ظلمكم، يوم ينادي المنادي من مكان قريب، يوم تسمعون من كل بيت نداء أن سقط الطاغية، بل من كل شارع وبيت ودكانة سقط الطاغية بشار، يوم ترتج مدن المسلمين بأصوات تكبير المآذن، وإن غدا لناظره لقريب.

تحية إلى شعب سورية كل سورية، عربا وكردا وتركمانا، على أن يكونوا في الأحرار، وأخصص بالتحية الفرات وأبناء الفرات أخص الفرات؛ لأنني قد حرمت منك أعواما مديدة أيها النهر العظيم، فحياك الله وحيا أجسادا ملأتها وهي تَعُبُّ المجد من رضاعها إلى مماتها، حرمت منك أعواما مديدة ولكنني لا زلت فراتيا وإن أقصاني نظام المجرم الفاشي حافظ الأسد منذ نعومة أظفاري

وبنفسيَ الأرض الجميلة والربا
والتين والزيتون جري الماء
والزرع والرمان والنهر الذي
جعل البلاد منابع الآلاءِ
نهر الفرات لا عدمت سقاءكم
فمذاق ماكم بلسمي ودوائي
يا زمزم الشام الذي من نبعه
جعل الإله معيشة الأحياءِ
وحرمت منكم لا أحب تباكيا
فأُكَفْكِفُ العبرات وهي ترائي
لو سحت العين الدموع بقدر ما
يجري الفرات لما أتت بوفاء [1]

ولئن كان الفرات خير مورد لسقي زروع أينعت ثمارها وزروع في طريقها إلى الكمال، فإن دموع المظلومين والسجناء والمغتربين طيلة حكم النظام كانت خير سقيا لثمار أينعت ومنها هذه الثورة المباركة وثمار في طريقها إلى الكمال، فما بعد الثورة إلا الثروة بإذن الله، فاسْقِ يا دموع أنين زفرات المظلومين كما يسقي هذا النهر العظيم، وأغلظ أيها الثائر على الظلم كما أغلظ النهر فجرف أشلاء الذين أرادوا به وبالبلاد السوء، فقد آن لهم أن تدور عليهم دائرة السوء

(١) من قصيدة لي عنوانها: يوم العيد كتبتها عام ١٩٩٩.

خيمة المجد

:: الشّاعر : أنس إبراهيم الدغيم

قريباً منكِ تجتمع الجهاتُ
و جازَ الماءُ نحو الماءِ حتّى
و حيثُ وقفتُ قامَ دمٌ شهيدٌ
تجذّرَ في التراب فصار نخلاً
تباركَ ماؤكِ العاصي و جلّتْ
هنا البلدُ الحرامُ لكلِّ حرٍّ
هنا (حمص) صبرٌ مستعانٌ
عبرنا خوفنا مطراً و شعراً
و قمنا يكبرُ التّاريخُ فينا
نؤرّخُ حزننا ميلادَ فتحٍ
و نقرأُ وجهَكِ العربيَّ نصّاً
كأنّكِ في علوم النّحو (حتّى)
أجل يا حمصُ يا فئةَ الأقاحي
و قبلكِ كان عودُ المجدِ غضّاً
و كان ربيعنا العربيُّ بكراً
و يا وطناً تشظّى يا سميناً
تخلّقَ في يديكِ الصّبحُ حتّى
و ما وطئوا تراباً من حريرٍ
و كم زرعوا لتحيا الأرضُ قمحاً
فما صنعوا لوجهِ الشّامِ خبزاً
أجلْ خمسونَ قد مرّتْ عجافاً
فما عادَ الغمامُ ببعضِ ماءٍ
إلى أنْ قامَ طفلٌ دونَ عشرٍ
يوجّهُ دفّةَ الدنيا و يبني
يقابلُ بالأناملِ تاجَ كسرى
و كم مرّ الصّباحُ بباب هودٍ
تقاسمنا دمَ الشّهداءِ ملحا
نُباعُ لينعمَ الوالي و زوراً
كأنّ الأرضَ كلّ الأرضِ خصمٌ
رُمينا عن يدٍ و الأرضُ ضاقتْ
إذا الظّلمُ استباحَ حمى كريمٍ
فتنكسرُ القيودُ إذا عزمنا
أبي.. لغزٌ يحيّرني و أرجو
يواجهني سؤالاً سرمديّاً
و لولا أنّهم مكثوا قليلاً
و لا نامتْ عن الجدوى كرامٌ
فحتّى لا نباعَ تعال خذنا
كأنّ الحبَّ حتى اليوم جُبٌّ
فما ابيضّتْ لهم عينٌ و جادتْ
و مازالتْ قبابكَ شامخاتٍ
فما نامتْ هنا عينا جبانٍ
هنا قبرٌ وتسكنه حياةٌ
هنا التّاريخُ يفتحُ بابَ عمرو
أنا من جرجنازَ وأنتِ منّي
لعلّ دماً سيجمعنا قريباً
سلامٌ لا سلام لغيرِ حرٍ

فحيثُ وقفتُ جازَ لِيَ الصّلاةُ
يظلَّ النّيلُ رهنَكِ و الفراتُ
و نامتْ عن دعاويهِ القضاةُ
و ناءَ فغامَ فانهمر الأباةُ
عن النّظمِ البديعِ الحادثاتُ
و إرثُ الخالديّة و الحماةُ
و ديكُ الجنِّ ينظمُ و الهواةُ
جريئاً لا تصادرُهُ الرّواةُ
و ما زالتْ تجودُ الأمّهاتُ
ليسقطَ عن جناحيكِ الشّتاتُ
بلا لغةٍ و تسكنهُ اللّغاتُ
و كلّ الواقفين معي نحاةُ
تحيّزنا و أنكرتِ الفئاتُ
و لمّا تبلغِ الرّشدَ الحياةُ
فأورقت الظّلالُ الوارفاتُ
و يا مطراً يحاصرُهُ الغزاةُ
مشى في موكبِ النّورِ الحفاةُ
و لا شبعوا و لا لبسَ العراةُ
و آثاراً و كم حصد الولاةُ
و لا دُفعتْ لساكتها الزّكاةُ
و تنتظرُ السّنابلُ و الجُباةُ
و لا وردوا و لا ملأَ السّقاةُ
تسبّحُ في يديهِ الأحجياتُ
لوجهِ الله ما هدمَ البغاةُ
كذلك تقلقُ الجبلَ الحصاةُ
فما حمدوا و لا قعدَ السّراةُ
و يسرقُ خبزَ أمّتنا الطّغاةُ
يمانعُ باسم أمّتنا الزّناةُ
و تنتهزُ السّماءَ الطّائراتُ
بنا ذرعاً و ما ضاقَ الكماةُ
فشرُّ مآخذِ المرءِ الأناةُ
و نهزمُ حين تنكسرُ الذّواتُ
لهُ حلاً و لا يرجو العصاةُ
لماذا غادر الجبلَ الرّماةُ ؟
و لولانا لما ذبحتْ حماةُ
و لا حظيتْ بيوسفنا الرّعاةُ
و كلْ يا ذئبُ ما سام الغواةُ
و كلّ كواكب الدّنيا جناةُ
و ما زالتْ تجودُ الرّاجماتُ
بعهدتها تنامُ القُبّراتُ
و لا مات البعيرُ هنا ... و ماتوا
وتحرسُ خيمةَ المجدِ الرّفاتُ
ويفتحُ ما تبقى المعجزاتُ
ومنكِ أنا ومنكِ الخالداتُ
وتلتئمُ الجراحُ النّازفاتُ
وقبرٍ فيهِ تحتشدُ الصّفاتُ

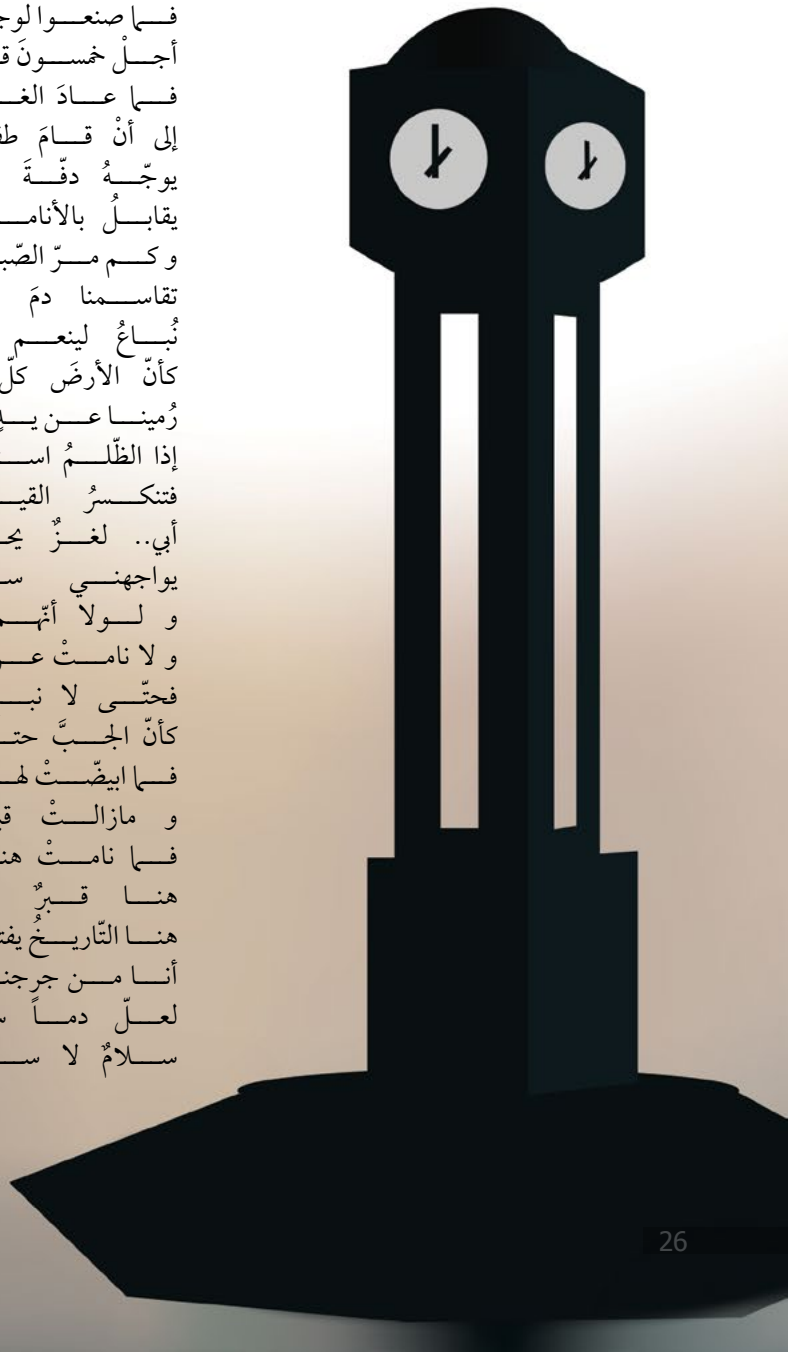

الهدية

:: عماد السيد عمر

وأخيرا، بعد ساعات من البحث المتواصل عن هدية لصديقي وجدتها، لقد وجدت الهدية المناسبة له. ليس هناك مناسبة معينة لتلك الهدية، ولكنها عربون محبة ووفاء، إنها دليل على الحب.

لقد حان وقت اللقاء، لقد زيّنا الهدية وغلفناها بأجمل الأغلفة، وطيبناها بأحسن العطور.. تفضل يا صديقي العزيز، إنها عربون محبة ووفاء.

أخذ صديقي الهدية وبدأ يتأملها رأيت في عينيه نظرات غريبة وكأن الهدية لم تعجبه، أشاح الصديق بوجهه عني، وأخذها، ولم يقل كلمة «شكرا».. عجبا له!! هل هذا جزاء الإحسان؟

لقد تحطم قلبي. لم يكن لزاما علي أن أتعب هذا التعب وأن أعاني هذا العناء من أجله، لم يكن لزاما علي إهداؤه أي شيء، ولكني أحببت أن يفرح وأن يشعر بحبي له، مهما كانت قيمة هديتي صغيرة أو كبيرة.. فإنها تبقى هدية!! لقد أخذت قراري، لن أهديه شيئا بعد اليوم.

انتهت القصة...

لقد استأتم كلكم بالتأكيد من نكران صاحبي للجميل ومقابلته الإحسان بالإساءة والهدية بالنكران. إن هذا الموقف يحدث كل يوم في حياتنا!!

ولله المثل الأعلى، كم من هدايا وعطايا ونعم ينعم بها الله علينا في كل يوم وكم من النكران نقابله بها ولا نشكره عليها حق الشكر؟!

كم واحد منا يظل وجهه أسود كظيما لمّا يبشر بأنثى وهو يريد الولد، إنها هدية الرحمن فكيف لا نشكره؟!

وكيف يتمعر وجه أحدنا في مقابل عطايا الرحمن؟!

وهل شكرناه حقا على كل النعم؟! وهل أدينا حق شكره؟!

ربما يركب أحدنا سيارة متوسطة الرفاهية أو عادية، فيحنق أو يغضب وهو يرى غيره يركب سيارة أكثر رفاهية أو أغلى سعرا، وينسى أن يشكر ربه على ما وهبه وعلى ما أعطاه.

كم منا من يشتكي من أولاده، وربما يسبّهم في الليل والنهار، وينسى أن يشكر ربه صباح مساء على هذه النعمة؟! اجلس مع رجل عقيم لترى كم يتمنى هذا العقيم أن يلاعب طفلا. نرى ونسمع ونمشي ونتكلم ونركض ونضحك ونأكل ونشري ونمرح وننسى كل النعم!!

ما عليك سوى أن تزور مستشفى لترى كم فيها من المبتلين المرضى الذين يتمنون أكلة أو شربة أو نزهة.

إن من أكبر النعم علينا أن ربنا -رغم النكران- ما زال يعطينا، ورغم الجحود ما زال يتفضل علينا، ورغم ما أسأنا في أرضه ما زال يسقينا.. وكما قالوا: ولو خيرنا بين أن يحاسبنا يوم القيامة أبونا أو يحاسبنا ربنا لاخترنا حساب ربنا، لأنه أرحم بنا.

إنها دعوة للشكر ودعوة للرضا.. اللهم إنا راضون، فهل أنت راضٍ عنا؟!

الصبر على الهوى أشق من الصبر في المعركة وأعظم أجراً

فالشجاع يدخل المعركة يمضغ في شدقيه لذة الظفر

فإذا حمي الوطيس نشطت نفسه وزغردت..

والمؤمن وهو يصارع هواه يتجرَّع مرارة الحرمان

فإذا صمّم على الصبر ولَّت نفسه وأعولت..

والشجاع يحارب أعداءه رياءً وسمعة وعصبية واحتساباً

ولكن المؤمن لا يحارب أهواءه إلا طاعة واحتساباً

:: مصطفى السباعي